تاريخ وأفكار الفرقة الجامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائد المجاهدين وسيد الغر المحجلين نبينا محمد ابن عبدالله الامين صلى الله عليه وسلم أما بعد

قال تعالى

}فأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ }الرعد71

قال تعالى

}قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}المائدة001

تاريخ ظهور الجامية

بدايةُ نشأتهم تقريباً كانتْ في حدود الأعوام 1411 / 1412 هـ ، في المدينةِ النبويّةِ على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام ،

وكانَ مُنشئها الأوّلُ محمّد أمان الجامي الذي توفّيَ قبلَ عدّةِ سنواتٍ ، وهو من بلادِ الحبشةِ أصلاً ،

وكانَ مدرّساً في الجامعةِ الإسلاميّة ، في قسمِ العقيدة ، وشاركهُ لاحقاً في التنظيرِ لفكرِ هذه الطائفة ربيع بن هادي المدخلي ،

وهو مدرّسٌ في الجامعة في كليّة الحديث ، وأصلهُ من منطقة جازانَ .

لا أعلمُ على وجه التحديد الدقيق وقتاً دقيقاً محدّداً للتأسيس ،

إلا أنّ الظهورَ العلني على مسرحِ الأحداث ، كانَ في سنةِ 1411 هـ ، وذلكَ إبّانَ أحداثِ الخليج ،

والتي كانتْ نتيجةً لغزو العراق للكويت ، وكانَ ظهوراً كفكرٍ مُضادٍ للمشايخِ الذين استنكروا دخولَ القوّات الأجنبيّة ،

وأيضاً كانوا في مقابلِ هيئةِ كبارِ العلماء ، والذين رأوا في دخولِ القوّات الأجنبيّة مصلحةً ، إلا أنّهم لم يجرّموا من حرّمَ دخولها ، أو أنكرَ ذلكَ ، فجاءَ الجاميّةُ واعتزلوا كلا الطرفين ،

وأنشأوا فكراً خليطاً ، يقومُ على القول بمشروعيّة دخول القوّات الأجنبيّة ،

وفي المقابلِ يقفُ موقفَ المعادي لمن يحرّمُ دخولها ، أو يُنكرُه ، ويدعو إلى الإصلاحِ ، بل ويصنّفونهُ تصنيفاتٍ جديدةً .

وظيفه وعلاقة الجامية بالإصلاح

ويذكرُ بعضُ المشايخ أنّ هذه الطائفةَ نشأتْ ، حيثُ قامتْ بتوظيف مجموعة من النّاس ، وذلكَ بقصد ضرب التيّار الإصلاحيّ ، والذي كانَ يتنامى في تلكَ الفترة ، والذي كانَ على رأسه الشيخُ العلامةُ : سفرُ بنُ عبدالرحمنَ الحواليّ – حفظهُ اللهُ - وبقيّةُ إخوانه من المشايخ ،

وهذا القولُ قولٌ واقعيٌ تماماً ، تدلُّ عليه الأحداثُ ، ويشهدُ لهُ الظرفُ والوقتُ الذي ظهروا فيه ، ويدلُّ عليه كذلكَ أنّ محمّد أمان الجامي كان دائم الهجوم على سفر الحوالي ، وسلمان العودة وعائض القرني ويطلبُ إيقافهُم ومسائلتهُم على كلامهم ،

وهذا مشهورٌ جداً ، وموارقُ الجاميّة أصلاً لا ينكرونَ مبدأ الترصّد للدعاة ، بل ويتقرّبونَ إلى الله ببغضهم وبإلحاقِ الأذيّةِ بهم ، ومنهم من يستحلُّ الكذبَ لأجلِ ذلكَ .

وقد قالَ عبدالعزيزِ العسكرُ في إحدى خطبهِ أنّ دماءَ هؤلاءِ المشايخ حلالٌ ، وذلكَ بسببِ فتنتهم التي نشروها وبثّوها !!

والحمدُ للهِ الذي لم يمهلْ هذا العسكرَ طويلاً ، ففُضحَ فضيحةً نكراءَ أدّتْ إلى فصلهِ وعزلهِ ، والتشهيرِ بهِ ، وذلكَ عاجلُ عقوبته في الدنيا .

وخلاصةُ : الكلامِ في نشأتهم أنّهم قاموا في مقابلِ مشايخِ الصحوة في ذلكَ الوقت ،

من أمثالِ المشايخ : سفر وسلمان وناصر وعايض وغيرهم ، وشكّلوا جبهةَ عداءٍ لهم ، وأخذوا يردّونَ عليهم ردوداً جائرةً ،

ويصنّفونهم بتصنيفات ظالمة ، ويقعدونَ لهم كلّ مرصد ، ولا يتركونَ تهمةً إلا ألصقوها فيهم ،

والسببُ هو تنفيرُ النّاسِ عن قبولِ ما لدَى هؤلاءِ المشايخِ من الحقّ ، وإسقاطاً لهم ، ورفضاً لمشاريعهم الإصلاحيّة ، بحيثُ تُصبحُ فوقَ النقدِ ، ولا يطالَها يدُ التغييرِ مهما فعلتْ من سوءٍ أو جنايةٍ ، كلُّ ذلكَ بمسوّغاتٍ شرعيّةٍ جاهزةٍ .

أشهر أسماء الجامية

وأمّا أسماءهم التي عُرفوا بها فمنها : الجاميّةُ ، وهذا نسبةً إلى مؤسّسِ الطائفة ، محمّد أمان الجامي الهرري الحبشي ،

والمداخلةُ ، نسبةً إلى ربيع بن هادي المدخلي شريك الجامي في تأسيسِ الطائفة ،

وتارةً يسمّونَ بالخلوفِ ، وقد أطلقَ هذا الاسمَ عليهم العلاّمةُ عبدالعزيز قارئ ، وتارةً يسمّونَ أهلَ المدينةِ ، نسبةً إلى نشأة مذهبهم فيها ،

وأنا أرى أن يُسمّوا موارقَ الجاميّة ، وذلكَ لمروقهم عن طائفة المُسلمينَ العامّة ، ونكوصهم عن منهجِ السلفِ ، وتبنّيهم لفكرٍ دخيلٍ مبتدعٍ منحط ، لا يعرفُ التأريخُ لهُ نظيراً أبداً .

هذا المذهبُ في بدايتهِ ، كانَ يقومُ على البحثِ في أشرطةِ المشايخِ ، والوقوفِ على متشابهِ كلامهم ، أو ما يحتملُ الوجهَ والوجهين ،

ثمّ جمعُ ذلكَ كلّه في نسقٍ واحدٍ ، والتشهيرُ بالشيخِ وفضحهُ ، ومحاولةُ إسقاطه بينَ النّاسِ وفي المجتمعِ ،

وقد استطاعوا في بدايةِ نشوءِ مذهبهم من جذبِ بعضِ من يُعجبهُ القيلُ والقالُ ، وأخذَ أتباعهم يكثرونَ وينتشرونَ ، وذلكَ بسببِ جرأتهم ووقاحتهم ، وتهوّرهم في التصنيفِ والتبديعِ ،

الجامية في مرحلتها الأولى

وفي تلكَ الفترةِ الحرجةِ ، والممتدةِ من سنةِ 1411 إلى سنةِ 1415 هـ ، كانوا قد بلغوا من الفسادِ والتفرقةِ أمداً بعيداً ،

واستطاعوا تمزيقَ الأمّةِ والتفريقَ بينهم ، ولم يتركوا شيخاً ، أو عالماً ، أو داعيةً ، إلا وصنّفوهُ وشهّروا بهِ ، إلا هيئةَ كبارِ العلماء ،

وذلكَ لأنّها واجهةُ الدولة الرسميّة ، وكذلكَ لم يصنّفوا مشايخهم ، أو من كانَ في صفّهم ، .

ومن المشايخِ الذين أسقطوهم في تلكَ الفترةِ : سفر الحوالي ، سلمان العودة ، ناصر العمر ، عايض القرني ، سعيد بن مسفر ، موسى القرني ، محمد بن عبدالله الدويش ، عبدالله الجلالي ، محمد الشنقيطي ، أحمد القطان ، محمد قطب ، عبد الحميد كشك ، سيد قطب ، حسن البنا ، عبد المجيد الزنداني ، عبدالرحمن عبد الخالق ، عبد الرزّاق الشايجي ، وغيرهم .

وكانَ أساسُ تصنيفهم للعالمِ والداعيةِ ، هو موقفهُ من السياسة الشرعية ، فإن كانَ موقفُ الشيخِ ،يدعو إلى الإصلاحِ ،

فإنّهُ من الخوارجِ ، أو من المهيّجة ، أو من المبتدَعة الضالّينَ ، ويجبُ التحذيرُ منهُ وإسقاطهُ !! .

وعندما أصدرَ الشيخُ بنُ بازَ – رحمهُ اللهُ – في سنة 1413 هـ بياناً يستنكرُ فيه تصرّفهم ، ويعيبُ عليهم منهجهم ،

وقامَ الشيخُ سفرٌ بشرحهِ في درسه ، في شَريط سُمّي لاحقاً : الممتاز في شرحِ بيان بن باز ،

طاروا على إثرها إلى الشيخ – رحمهُ اللهُ – وطلبوا منهُ أن يزكّيهم ، حتّى لا يُسيءَ الناسُ فيهم الظنّ ،

فقامَ الشيخُ بتزكيتهم ، وتزكيّة المشايخِ الآخرينَ ، إلا أنّهم لفرطِ اتباعهم للهوى ، وشدّة ميلهم عن الإنصاف ، قاموا ببترِ الكلامِ عن المشايخِ الآخرينَ ، ونشروا الشريطَ مبتوراً ، حتّى آذنَ لهم بالفضيحةِ والقاصمةِ ، وظهرَ الشريطُ كاملاً ولله الحمدُ .

أشهر شيوخ الجامية

وكان من أشدّ الجاميّةِ في تلكَ الفترة ، وأنشطهم : محمّد بن هادي المدخلي ، وفريدٌ المالكيِّ ، وتراحيبٌ الدوسريَّ ، وعبداللطيف با شميل ، وعبدالعزيز العسكر ، والحربي ،

فريدٌ المالكي فقد انتكسَ فيما بعدُ ، وأصبحَ من أهلِ الخرابِ ، وهو حقيقةٌ لم يكنْ مستقيماً من قبلُ ، ولكنّهُ كانَ يُظهرُ ذلكَ ،

وأمّا باشميل فوالدهُ شيخٌ معروفٌ ، ومؤرخٌ فاضلٌ ، إلا أنّ ولدهُ مالَ عن الحقّ ، وأصبحَ جامياً ، بل من أخبثهم أيضاً ،

أمّا عبدالعزيز العسكرُ فقد فضحهُ الله بفضيحة شنيعة ، فُصلَ على سببها من التدريسِ ،

وأمّا تراحيبٌ فهو مؤلّفُ كتابِ القطبيّة ،

وأمّا صالحٌ السحيميٌ فإنّهُ من غلاةُ الجاميّة ، وأكثرهم شراسةً وتطرّفاً ، وفي محاضرةٍ لهُ ألقاها بجامعِ القبلتينِ ، جعلَ الشيخينِ سفراً وسلمانَ قرناءَ للجعدِ بنِ درهمَ وللجهمِ بنِ صفوانَ ولواصلِ بنِ عطاء في الابتداعِ !! .

ثمّ لاحقاً تسلّمَ دفّةَ قيادةِ الفرقةِ الجاميّة المارقة : ربيعٌ المدخليّ ، وتفرّدَ بالساحةِ ، وأصبحَ يُشاركهُ فيها الحربيٌ ، ولهم مجموعةٌ أخرى من المشايخِ ،

إلا أنّ هؤلاء كانوا أشهرهم هنا ،بل فرخت جماعة تنتمي الى ربيع المدخلي سميت بالمداخله وفي تلكَ الفترة بدأتْ أماراتُ مرضِ محمّد أمان الجامي تظهرُ ، حيثُ أصيبَ بمرضِ السرطانِ في فمه ، ثمّ ماتَ بعدَ ذلكَ بقرابة السنة ، فخلى الجوّ على إثرِ ذلكَ للمدخليّ ، ولم يجدْ من يُنافسهُ غيرَ مقبلِ بنِ هادي الوادعي في بلادِ اليمنِ فقط .

الفترة الزمنية الثانية للجامية وبداية انحدارهم وتشتتهم

في هذه الفترة ، وبعدَ سجنِ المشايخِ ، وعدمِ وجودِ من يُنازعُ الدولةَ ،

بدأ الجاميّون يلتفتونَ لأنفسهم ، وأخذوا يقرّرونَ قواعدهم ، ويأصلونَ لمذهبهم ، وينظّرونَ لهُ ،

وكثرتْ تصانيفهم الخاصّةُ بتقريرِ قواعد مذهبهم ، أو الدفاعِ عنهُ ، بعدَ أن كانوا مُهاجمينَ لغيرهم فيما مضى ،

وهنا انشرخَ جدارهم الشرخَ الكبيرَ ، وبدأو ينقسمونَ انقساماتٍ كبيرةً ، كلُّ طائفةٍ تبدّعُ الطائفةَ الأخرى ، ولا يزالونَ إلى هذا اليومِ في انقسامٍ ، وتشرذمٍ ،

كما كانَ حالُ المعتزلةِ ، والذين تشرّذموا في فترةٍ وجيزةٍ ، وانقسموا إلى عشراتِ الفرقِ ، كلُّ أمّةٍ منهم تلعنُ أختها ، وتصفُها بصفاتِ السوءِ ، وتُعلنُ عليها العداءَ والحربَ ! .

الكلام على فرقة الحدادية وأصل شبهتهم

وأوّلُ انشقاقٍ حدثَ ، كانَ ظهورُ فرقةِ الحدّادية ، وهم أتباعُ محمود الحداد ، نزيلٌ بالمدينةِ النبويّةِ ، من أتباعِ ربيعٍ ، إلا أنّهُ كانَ أجرأ من ربيعٍ وأصرحَ ،

ولهذا قامَ بطردِ أصولهِ ، وحكمَ على جميعٍ من تلبّسَ ببدعة ، أن يُهجرَ ، وتُهجرَ كتبهُ وتصانيفهُ ، وأظهرَ دعوتهُ الشهيرة لحرقِ كتبِ الأئمة السابقينَ ،

أمثالَ كتبِ ابنِ حزم والنّوويّ وابنِ حجرٍ وغيرهم ، وذلكَ لأنّهم مبتدعةٌ ،

ويجبُ هجرهم ، وتحذيرُ النّاسِ من كتبهم ، أسوةً بسفر وسلمانَ والبقيّة .

وقد كانَ الحدّادُ في ذلكَ صادقاً ، ويدعو إليهِ عن دينٍ وعلمٍ ، ويرى أنّ الأصلَ يجبُ طردهُ ، ولا يمكنُ عزلُ الماضي عن الحاضرِ ، وتعاملُ العلماءِ مع المبتدعة واحدٌ ،

وقد وافقهُ على ذلكَ ربيعٌ في أوّلِ الأمرِ ، ثمّ لمّا رأى إنكارَ النّاسِ على الحدّادَ ، أعلنَ الانقلابَ عليه ، وتبرّأ منهُ .

والسببُ الذي دعا موارقَ الجاميّةِ ، إلى الكفّ عن تبديعِ الأئمة السابقينَ ، هو أنّهم كانوا أصحابَ هدفٍ محدّدٍ ، ولهم وظيفةٌ واحدةٌ ،

وهي تنفيرُ النّاسِ عن اتّباعِ المشايخِ المُصلحينَ ، وإسقاطهم ، وما عدا ذلكَ فلا شأنَ لهم به ،

وأمّا الحدّادُ فقد كانَ رجلاً عابداً ، ويرى أنّ الدعوةَ لا بُدّ من طردها وإعمالها جميعاً ، ولم يكنْ يعرفُ مقصدهم ، وأنّهم كانوا مجرّدَ اتباعٍ فقط ، ولا يهمّهم أمرُ العلمِ من قريبٍ أو بعيدٍ ، ولهذا خرجَ عليهم ، ونابذهم ، وانفصلَ عليهم ، وسُمّيتْ فرقتهُ بالحدّادية ، ثمّ سعوا في إخراجه من المدينة ، حتّى تمكّنوا من ذلكَ ، ومعَ مرورِ الوقتِ خمدتْ دعوةُ الحدّاديّةِ في بلادِ الحجازِ ، وانتقلتْ حمّاها إلى بلادِ اليمنِ ومصرَ والشامِ وغيرها .

تناقضات بعض شيوخ الجامية وبيان طوامهم

ولشيوخهم من التهافتِ والجهالاتِ الشيءُ الكثيرُ .

خذْ مثلاً ربيع المدخلي ، هذا الرّجلُ الذي يزعمُ الجاميّةُ أنّهُ حاملُ لواءِ الجرحِ والتعديلِ في هذا العصرِ ، ومعَ ذلكَ فقد وجدَ الباحثونَ عليه ثغراتٍ كبيرةً منهجيّةً ، في علمِ أصولِ الحديث ، والذي هو تخصّصهُ ، بل وجدوا عندهُ من السقطاتِ والزلاّتِ ، ما يجعلُ أحدهم يستعجبُ كيفَ تفوتُ هذه علَى صِغارِ الطلبةِ ، فضلاً عن رجلٍ يوصفُ بأنّهُ حاملُ لواءِ الجرحِ والتعديلِ !! .

وربيعٌ هذا كتبَ مرّةً مقالاً عن مؤسسةِ الحرمينِ الخيرية ، ونشرها في منتدى سحاب ، ووجدتْ صدى ورواجاً وقبولاً عندَ طائفته ، حتّى قامَ بعضُ كبارِ أهلِ العلمِ باستنكارِ تلكَ المقالة ، وردّوا علَى ربيعٍ ، وأنكروا عليه ، فما كانَ منهُ إلاّ أن تبرّأ من المقالة ، وأنّهُ لم يكتبها ، وقامَ بنحلها لشخصٍ هناكَ اسمهُ أبو عبدالله المدني !! ، وأنّ المدنيّ المذكورَ هو من نشرَ المقالةَ وكتبها وليس ربيعاً !! ، في تبريرٍ سامجٍ مُضحكٍ ومخزٍ !! .

وربيعٌ هذا هو من أسقطَ أبا الحسن المصري المأربيّ ،

والطامّةُ الكبرى أنّ أبا الحسن قد كانَ من كبارِ شيوخهم ، ولهُ علاقةٌ قويّةٌ ، وكانَ في تلكَ الأيّامِ إماماً للجاميّةِ ، ومنظّراً لها ، وهو الذي تولّى نشرَ فتنة الإرجاء ، والتصنيفَ فيها ،

وبعدما أسقطهُ المدخليُّ ، تنكّروا لها ، وهاجموهُ ، وجعلوهُ مبتدعاً جاهلاً زائغاً منحرفاً !! ،

والأعجبُ من ذلكَ كلّهِ أنّ أغلبَ سقطاتهِ وزلاّتهِ استخرجوها من أشرطةٍ قديمةٍ لهُ ، في الفترةِ التي كانوا فيها على صفاء وودّ !! .

وكذلك من مشايخهم الذين ينشرون هذا الفكر الأسود أسامة القوصي الذي كان ينتهج منهج التوقف والتبين ثم اصبح منهم ليهاجم كل علماء ومشايخ السلف أمثال أبو اسحاق و محمد حسان وغيرهم الذين يخالفون منهجهم الضال

وهذا دليلٌ واضحٌ على اتباعِ القومِ للهوى ، وغضّهم البصرَ عن أتباعهم ، حتى إذا غضبوا عليه ، قاموا وفجروا في الخصومة ، وأخذوا يجمعونَ عليه جميعَ مآخذه وزلاّته ، ممّا كانوا يغضّونَ عنها بصرهم قديماً ، في فترةِ ولائه لهم ! .

وربيعٌ هذا رجلٌ غريبُ الأطوارِ جداً ، كانَ في الأصلِ من جماعة الإخوانِ المُسلمين ، ويُقالُ أنّ رجوعهُ كانَ على يد الشيخ سفر – حفظهُ اللهُ - ،

ومع ذلكَ فهو يتنكّرُ للشيخِ سفر أشدّ التنكّر ، ويبغضهُ أشدّ البغض ، ويحملُ عليه من الحقد الدفينِ ، ما يجعلُ ربيعاً يموتُ في اليوم ألفَ مرّة ، إذا سمعَ خيراً ينالُ الشيخَ سفراً ، أو رفعةً تُصيبهُ .

وعندما ردّ الشيخُ العلاّمةُ بكرُ بن زيدٍ رحمه الله على ربيعٍ في مسألة سيّد قطب – رحمهُ اللهُ - ،

وكانَ ردُّ أبي زيدٍ في أربعةِ وريقاتٍ ، قامَ ربيعٌ بعدها فسوّدَ صحائفَ مئاتِ الورقِ ، وكتبَ رداً مليئاً بالسبابِ والشتامِ والإقذاعِ ، في حقّ الشيخِ بكر !! ،

وقلبَ الموارقُ فيما بعدُ ظهرَ المجنّ للشيخِ أبي زيد ، وصنّفوهُ حزبيّاً ، وأسقطوهُ ، وعدّوهُ من المبتدعة .

والأنكى من ذلك والأدهى ، أنّ ربيعاً قصدَ إلى علي حسن عبدالحميد ، وسليماً الهلاليّ ، وقالَ لهما : أسقطا المغراوي !! ، وإن لم تُسقطاهُ فسأسقطكم أنتم !! .

بالله عليكَ هل هذا كلامُ رجلٍ عاقلٍ !! .

وهل هذا تصرّفُ رجلٍ يبحثُ عن الخيرِ والهداية للمدعو وللنّاسِ !! .

أم تصرّفُ رجلٍ ملأ الحقدُ والضغينةُ قلبهُ ، وأعمى بصرهُ ! .

ومن مشائخهم كذلكَ مقبلٌ الوادعيّ ، وقد توفّي في جدّةَ ، وهو سابقاً من أتباع جُهيمانَ ، ولكنّهُ أبعدَ ،في حدودِ سنة 1399 هـ ، حيثُ كانَ يدرسُ الحديثَ في الجامعة الإسلاميّة ،

وهو شديدُ الأخلاق ، زعرٌ ، يُطلقُ لسانهُ في مخالفيه بالشتم والسبّ ، بأرذلِ العباراتِ . رحمه الله وعفى عنه

فمن ذلكَ أنّهُ قالَ عن الدكتورِ : عبدالكريم زيدان ، العالمُ العراقيُّ الشهيرُ ، صاحبُ كتابِ أصولِ الدعوةِ ، وكتابِ المُفصّلِ في أحكام المرأة المُسلمة ،

قالَ عنهُ الوادعيُّ : إنّ علمهُ زبالةٌ ! ،

وقد بلغتْ تلكَ العبارةُ للدكتورِ زيدان ، فجلسَ يبكي بكاءً مُرّاً .

ولستُ أدري والله ، كيفَ يجرأونَ على نعت مُخالفيهم بهذه الأوصاف القذرة ، لمجرّد أنّهُ خالفهم في مسألة أو مسألتين ، وينسفونَ جميعَ علمهم ، ويهدمونَ كلّ آثاره ومعارفه ، لمجرّد شبهةٍ عرضتْ ، أو حادثة عنّتْ ؟! .

ولهم غيرُ ذلكَ من التناقضات الواضحات البيّنات ، وقد تتبّعَ ذلكَ جمعٌ كبيرٌ من الأفاضل ، وجمعوا فيه أجزاءً عدّةً ، ومن أرادَ الوقوفَ عليها فهي موجودةٌ متيسّرةٌ ، ولله الحمدُ والمنّةُ .

قائمة المشائخ الذين أسقطتهم الجامية

وقائمتهم الأخيرةُ – إضافةً إلى من مرّ ذكرهم سابقاً - ، التي جمعتْ المُسقَطينَ والمُنتقدينَ ، جمعتْ أئمةَ الإسلام في هذا العصر ، وكبارَ شيوخه ، ولم يسلمْ منهم أحدٌ ، وممن ضمّوهُ لقائمتهم :

الشيخُ بنُ باز ، وقد تكلّمَ فيه ربيعٌ وانتقصهُ ،

والشيخُ الألبانيّ ، وقد تكلّمَ فيهِ ربيعٌ ، وقال عنهُ سلفيّتُنا خيرٌ من سلفيّة الألبانيّ ،

والشيخُ بنُ جبرين ، والشيخُ بكرٌ أبو زيد ، والشيخُ عبدالله الغُنيمانُ ، والشيخُ عبدالمحسن العبّادِ ، والشيخَ عبدالرحمن البَرّاك ، والدكتورَ جعفر شيخ إدريس .

ومن الدعاةِ وبقيّة المشايخِ : محمد المنجّد ، و إبراهيم الدويّش ، وعلي القرنيّ ، وعبدالله السعد ، وسعد الحميّد ، وعبدالرحمن المحمود ، ومحمّد العريفي ، وبشر البشر ، وسليمان العلوان ، وغيرهم .

ولو حلفتُ باللهِ على أنّهم أسقطوا كلّ من خالفهم ، لما كنتُ حانثاً ، فجميعُ الدعاة والمشايخِ والعلماءِ ، ممّن لم يدنْ بدعوتهم ، أو يسلكْ طريقهم ، فإنّهُ من المبتدعة ، ويجبُ هجرهُ وإسقاطهُ .

وإنّي أسأل هنا سؤالاً : هل يوجدُ على مرّ تأريخ الحركات الإسلاميّة ، أو سنوات المدّ الإسلاميّ ، أن قامتْ مجموعةٌ بتسفيهِ جميع أهلِ العلم ، والتنفيرِ منهم ، وتحريمِ الجلوسِ إليهم ، مثلَ ما فعلَ هؤلاء الجهلة !

وإذا كانَ جميعُ الدعاة والهُداة والمُصلحينَ مُبتدعةٌ ، فمن يبقى إذاً يقودُ الأمّةَ ! .

و المقصودُ أيّها الكريمُ أنّ نشأةَ هذه الطائفةِ ، بتلكَ الكيفيّةِ المذكورةِ ، وفي ذلكَ الظرفِ الدقيقِ ، وتفرّقها وتشرذمها ،

دليلٌ على أنّها فرقةٌ منحرفةٌ ، شاذّةٌ ، همّها الأوّلُ والأخير الطعنُ في دعاةِ الإسلامِ ، والتفريقِ بينهم ، ونشرِ الحقدِ والضغينة ، وإشاعة سوء الظنّ ،

وفي المقابلِ يحمونَ جنابَ الولاة ، ويقفونَ في صفّهم ، ويَدينونَ لهم بولاء تام ، ويغضّونَ أبصارهم عن عيوبِ الولاةِ ومساوئهم ، ويجرّمونَ كلّ من وقفَ ضدّ الولاةِ ، أو نصحهم ، أو حاولَ تغييرَ المجتمعِ .

أصول مذهب الجامية وأبرز أفكارهم وتناقضاتهم

أمّا أصولهم التي بنوا عليها كلامهم ، فنحنُ في غنىً عن معرفتها ، وذلكَ لأنّ مقصدهم لم يكنْ مقصداً شرعيّاً ، بل كانوا حماةً للدولة ، ويقفونَ في وجه من تصدّى لها ، أو نقدها ،

ولأجل هذا الأمر فقد اضطربوا اضطراباً شديداً ، واختلقوا أصولاً جديدةً ، ومذهباً لا يُعرفُ لهم فيهم سلفٌ البتّةُ ، وإنّما ألجأهم إليهِ حاجةُ الدولةِ في تلكَ الفترة إلى وقف مدّ الغضب المُتنامي ضدّها ، عن طريقِ إسقاطِ الرموزِ ، بكلّ الوسائلِ والسّبلِ ، المحرّمة والمشروعة .

إلا أنّ هذا لا يمنعُ من ذكرِ بعضِ معالم فكرهم الساقط ، ومنهجهم المنحرفِ ، ويتبيّنُ لكَ من خلالها عظيمَ مُخالفتهم للعلماءِ والأئمة .

خلطهم في مفهوم البدعة
وتوسيعه ليشمل بعض ما اختلف فيه العلماء

فمن ذلكَ أنّهم يوسّعونَ دائرةَ البدعةِ ، ودائرةَ التعاملِ مع المبتدعِ ، فيُدخلونَ في البدعِ ما ليسَ منها ، أو يُلغونَ الخلافَ في بعضِ المسائلِ ،

ويُعاملونَ المبتدعَ مهما كانتْ حجمُ بدعتهُ ، أشدّ من معاملتهم للزاني ، والمرابي ، والمُغنّي ، والسكّير والعربيد ، ويرونَ أنّ المبتدعَ مهما دقّتْ بدعتهُ وخفّتْ أعظمُ على الأمّة من أصحابِ المعاصي ، مهما كبرتْ تلكَ المعصيّةُ وعظمتْ ! .

والبدعةُ عندهم ليستْ شيئاً منضبطاً ، بل هي مُصطلحٌ ضبابيٌّ هُلاميٌّ ، يوسّعونهُ متى ما شاءوا ، ويضيّقونهُ متى ما شاءوا ،

والدليلُ على ذلكَ أنّهم أنكروا على الحدّادية ، مع أنّ الحداديّةَ ساروا على نفسِ منهجهم وطريقتهم ، إلا أنّهم واصلوا الطريقَ ، وأدخلوا في ذلكَ جميعَ المبتدعةِ ، سواءً كانَ مبتدعاً خالصاً ، أو مُتلبّساً ببدعةٍ ، وسواءً كانَ مُعاصراً أو من الغابرينَ .

اشتراطهم في المشائخ الكمال المطلق

وفي تعاملهم مع الدعاةِ والمشايخِ ، يُظهرونَ أنّهم لا يرضونَ منهم إلا كمالاً مُطلقاً ، لا يشوبهُ شيءٌ من النقصِ أو الزللِ !! ،
وهذا مطلبٌ متعذّرٌ حسّاً وشرعاً ، والنفوسُ جُبلتْ على التفريطِ والتقصيرِ ، سواءً تلبّستْ بمعصيةٍ أو ببدعةٍ ، والكثيرُ من أمورِ البدعِ نسبيٌّ ، أي وقعَ فيه الخلافُ ، وتنازعَ العلَماءُ في كونه بدعةً أو لَا ،
والبدعُ في نفسها متفاوتةٌ متباينةٌ ، منها البدعُ المكفّرةُ مثلَ بدعة التعطيلِ ، ومنها البدعُ الخفيفةُ .
ولا يفرّقونَ كذلكَ بينَ مجتمعاتٍ غلبتْ عليها البدعةُ ، أو أخرى ظهرتْ فيها معالمُ السنّةِ ، والجميعُ عندهم واحدٌ ، والبدعةُ عندهم واحدةٌ ،
وقارنْ بينَ طريقتهم المبتكرة ، وبينَ هذا الكلامِ الربّاني من شيخِ الإسلامِ ابن تيميّةَ – رحمهُ اللهُ - :
)إنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة، وهو يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم.(
وبهذا المقارنةِ السريعةِ ، يظهرُ لكَ كذبهم وزيفهم ، وأنّهم يتعاملونَ مع المبتدعِ بالتشهّي فقط .

الجامية انتقائيون في كلامهم عن الأخطاء

عندما ينتقدونَ العالمَ أو الداعيةَ أو يُحاولونَ تقييمهُ ،، فإنّهم يتحوّلونَ إلى أشخاصٍ انتقائيينَ ، يُمارسونَ أبشعَ صورِ الانتقاء والتحيّز ،
فلا يقعونَ إلا على العباراتِ المُحتملة ، ويهوّلونَ الألفَاظَ المُشتبهةَ ، ويضخّمونَ الأخطاءَ ،
وفي المُقابلِ لا تجدُ منهم ذكراً للحسناتِ ، أو نشراً لها ، بل يرونَ أنّ المبتدعَ – وهو هنا الداعيةُ أو الشيخُ – يجبُ أن يُفضحَ ويكشفَ زيفهُ ، حتّى لا يغترّ به النّاسُ ،
ويرونَ أنّ المقامَ مقامُ تحذيرٍ ، ولهذا فلا بُدّ من ذكرِ السيئات ، ولَا يلزمُ أن يُقرنَ معها الحسناتُ ! .
وهذا المذهبُ لم يقلْ به أحدٌ من النّاسِ ، بهذه الطريقة المخترعة ،
إلا هم والشيطانُ الذي أوحاهُ إليهم ، وذلكَ لأنّها طريقةٌ مبتكرةٌ ، مخترَعةٌ ، لا دليلَ عليها أبداً ،
وإنّما هي تبعٌ للهوى والرأي .
وهم في طريقة تعاملهم مع المُخالف ، ممّن يعدّونهُ مبتدعاً ، يسلكونَ طريقاً يدعو إلى التعجبِ والاستغراب ،
وهو طريقٌ لم يسلكهُ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ حتّى مع المنافقينَ ، حيثُ يقومونَ بفضحه ، والتشهيرِ به ،
ويُعلنونَ ذلكَ في كلِّ محفلٍ ونادٍ ، وعلى الملأ ، ويدعونَ إلى هجرهِ ، والتشنيعِ عليهِ ، ويهينونهُ أيّما إهانةٍ ، ويُغلظونَ عليه في القول ! .

الجامية تضيق دائرة الخلاف

وتمنع من الأخذ بالأقوال المخالفة في الفروع

من سقطاتهم الكبيرةِ أنّهم يضيّقونَ دائرةَ الخلاف على الأمّة ، ويُلزمونها بآرائهم ، ويعنّفونَ على من يخرجُ عن ذلكَ الرأي ، ويتهمونهُ بشتّى التهمِ والأوصاف ، حتّى لو كانَ الخلافُ في ذلكَ سلفيّاً وأثريّاً .
خُذْ مثلاً :
مسألةُ العمليّات الاستشهادية ، وهي من المسائلِ الخلافيّة ، ومع ذلكَ فالجاميّةُ يُجلبونَ فيها ، ويرغونَ ويزبدونَ ، ويُبالغونَ في النكيرِ على من فعلها ، ويصفونهُ بأقسى النعوت ، وأشدّ الأوصافِ !! .
مع أنّ المسألةَ في غايتها اجتهادٌ لا غير ! .
وهذا من جهلهم الشنيعِ بأصولِ الخلاف ، ومفردات كلامِ الأئمة في التعاملِ مع الخلافاتِ الفرعيّةِ ، بل وحتّى بعضِ مسائلِ الأصولِ المُختلَفِ فيها .

الجامية وتناقضهم في مسئلة النصح للولاة وبيان كذبهم فيها

مثلاً :

الجاميّةُ يرونَ أن من جاهرَ بالنصح للولاة ، ، فهو خارجيٌّ !! .
وهذا من جهلهم العظيم بالفقهِ في دين الله ، ولو أنّهم رجعوا إلى أصغرِ كتبِ العلمِ ، لوجدوا أنّ النصح لالسلطانِ باللسانِ سنّةٌ معروفةٌ عندَ سلف الأمّة ،،
كانَ مذهباً معروفاً ، قالَ بهِ جمعٌ كبيرٌ من الصحابةِ ، بل جعلهُ ابنُ حزمٍ مذهبَ أكثرِ الصحابةِ ، وهو قولُ أكثرِ

التابعينَ الذين كانوا مه ابنِ الأشعث ، وفيه رواياتٌ عن أحمدَ ، وهو قولٌ مشهورٌ في مذهبِ أبي حنيفةَ ، ومالكٍ ، بل جعلهُ ابنُ حجر مذهباً من مذاهب السلف .

وأنا وإن كنتُ أحرّمُ النصح للولاءعلى الملاء لانه فضيحه ، وذلكَ لما فيه من الفتن العظيمة ، إلا أنّي لا يحلّ لي أن أصنّفَ من فعلَ ذلكَ بأنّهُ من الخوارجِ ، وذلكَ لأنّ الخوارجَ لهم نعوتٌ معروفةٌ ، ولهم آراءُ كثيرةٌ ، وأصولٌ قامَ عليها مذهبهم ، .

وليتَ شعري لمَ وصفَ هؤلاءِ الجاميّةُ ، من يُنكرُ على الولاة بأنّهم من الخوارجِ ، ولم يصفوهم بأنّهم من المعتزلةِ ، أو من الشيعة ، أو من الزيديّة ،

مع أنّ هذه الطوائفَ تُبيحُ الإنكارَ على الولاة علناً ، وترى تغييرَ منكره باليد !! .

الجوابُ : أنّ وصفَ الخوارجِ أسهلُ مأخذاً ، وأشنعُ في اللفظ ، وأقسى في العقوبةِ ، وذلكَ لأنّ الخارجيّ يُقاتلُ ، وأمّا المعتزليّ والشيعيّ فلا .

هل رأيتَ كيفَ يتبعونَ الهوى ، ويرتدونَ حليةَ الجهلَ ، وعدم الإنصاف ! .

واتّهامهم لمخالفيهم بالخروجِ على ولاة الأمر ، يبيّنُ لكَ أنّ القومَ مُستأجرينَ ، ولهذا بالغوا في هذه القضيّةِ ، على حساب قضايا أخرى أهمّ منها وأجدرُ في البحث ،

كما أنّهم كذبوا في قضيّة الخروج على الحكّام كذباً مفضوحاً ، وهاهي ذي كتبُ السلف ، وهاهي ذي آثارهم ، كلّهم يذكرُ الأمرَ والنهيَ على الولاة والأمراء ، سواءٌ باليد أو باللسانِ ، ولم يقلْ أحدٌ منهم أنّ هذا من الخروج ، أو أنّهُ تهييجٌ على ولاة الأمر ،

بل كانوا يمدحونَ فاعلهُ ، ويُثنونَ عليه ، ويخلعونَ عليه أزكى العباراتِ ، وأجملَ النّعوتِ .

موقف الجامية من قضايا الأمة
ومن الجمعيات الخيرية الإسلامية

وهو موقف يتقاطع مع موقف أعداء الإسلام ويتحد معهم ؛

ومن أصولهم المنحرفة أنّهم يقفونَ موقفَ الحيادِ من قضايا الأمّة ، إمّا زعماً بأنّ الأمةَ لا تقوى على المواجهة ، أو تصنيفاً لتلكَ القضايا ضمنَ دوائرَ ضيّقة ، ويعتذرونَ حينها على العمل معهم باختلاق شتّى المبرّرات ،

ولهذا تجدهم يُحاربونَ المؤسساتِ الخيريّةَ التي لا تقعُ تحتَ نطاقهم ، ويحرّضونَ على عدمِ التبرّعِ لها ، ولا لقضاياها ، وينفرونَ النّاسَ منها .

وها أنتَ ترى كيفَ هو موقفهم من مكاتبِ الدعوة ، ومن الهيئات الخيريّة ، ومن مؤسسات الدعوة في الخارجِ ، فجميعها عندهم حزبيٌّ ، يحرمُ التعاملُ معهُ ، ويجبُ تركهُ ، والتحذيرُ منهُ ، ومن تلكَ الهيئات والجمعيات :

المكاتبُ الدعويّةُ التعاونيّةُ ، ومراكزُ تحفيظ القرآن ، ومؤسسةُ الوقف الإسلاميّ ، ومؤسسةُ الحرمين الخيريّةُ ، والندوةُ العالميّةُ للشبابِ الإسلاميّ ، والمنتدى الإسلامي في بريطانيا ، وجمعيّةُ إحياءِ التراثِ ، وغيرها .

هل المُحذّرُ هو رئيسُ اليهود ، أو رئيسُ النّصارى ! .

أو أنّهُ عدوٌ الإسلامِ والمُسلمينَ ! . كلاّ والله ، بل المُحذّرُ هو رجلٌ يزعمُ أنّهُ سلفيٌّ !! ،

ومن أتباعِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ ، ومع ذلكَ يقفُ مع اليهودِ والنّصارى ،

في خندق واحد ، ضدّ إخوانه المُسلمين .

ولا أخفيكَ سرّاً أنّني حينَ أرى شيئاً مكتوباً لأحد الجاميّة ، في هذه القضايا ، فإنّي أشكُّ في ديانته ،

وذلكَ لأنّهُ يتكلّمُ بكلام يُشابهُ إلى درجة التطابق كلامَ أعداء الدين ، من الذين يُحاربونَ الدعوةَ والمراكزَ الخيريّةَ ، ويؤلّبونَ على حلقات تحفيظ القرءانَ ، ويحرّمونَ المُشاركةَ في المناشط الدعوية جميعاً .

أليسَ هذا – باللهِ عليكَ – يُشابهُ طريقةَ اليهود والنّصارى ، في حربها على الدينِ ، ومُحاولةِ نيلها من مراكزِ الدعوةِ ، والهيئات والجمعيّات الخيريّة ؟ ،

وما الفرقُ بينَ الجاميّةِ وبين جورج بوش وأزلامه ، الذين يُحاربونَ المؤسساتِ الخيريّةِ ، وحلقاتِ تحفيظِ القرءانِ ، ويقفونَ ضدّها ! .

ولو أنّكَ استقطعتَ شيئاً من وقتكَ ، وحاولتَ أن تجدَ جُهداً للجاميّة في الدعوةِ إلى الله ، أو في نشرِ الخيرِ ، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر ،

فلن تجدَ شيئاً أبداً ، بل ستجدُ غيرهم همَ من ملكَ الساحة ، وسعى فيها بالعلمِ والخيرِ ، وأمّا الجاميّةُ فقد جلسوا

في ركنٍ قصيٍّ ، ينتقدونَ هذا وذاكَ ، ولا يتركونَ عملاً إلا شنّعوا على فاعله ، ولا خيراً إلا وثبّطوهُ عنهُ .
وموارقُ الجاميّة من أقلِّ النّاس حظّاً من الدين والعبادة ،
ولهذا يكثرُ فيهم الانتكاسُ والارتكاسُ ، ولاَ يثبتونَ على الدِّين إلا قليلاً ، وأكثرهم مفرّطونَ في العبادة ، ولا يأتونَ الصّلاةَ إلا دِباراً ، ويترخّصونَ بجمعِ الصلواتِ في بيوتهم ، ويبيحونَ لنفسهم أنواعَ الرّخصِ ! .

الجامية وترخصهم في غيبة العلماء واستحلالهم لها

وأمّا في الغيبة ، فهو يستجيزونَ غيبةَ العلماء والدعاة ، بُحجّة التحذير منهم ، ويجلسونَ مجالسَ السّمر والمُفاكهة ، يتحدّثونَ فيها عن العلماء ، ويقعونَ في أعراضهم ، ويشتمونهم بأقذع الشتائم ، ويصفونهم بصفاتِ السّوء ، ويتلذّذونَ بذلكَ ، وليتَ شعري هل هذا من الإصلاح أو من طريقة السلف ! .
ولقد قالَ أحدُ الجاميّةِ المشهورينَ : لأن أتركَ ولدي يُماشي اللوطيّةَ أهونُ عندي من أن يُماشيَ السروريّةَ ! .
وآخرُ منهم انتكسَ وانحرفَ ، فزارهُ بعضهم مُناصحاً ، فقالَ :
حالي الآنَ وأنا منتكسٌ ، خيرٌ من حال سفر وسلمانَ . !
ولعلّكَ رأيتَ بعضهم في الساحات ، حينَ قالَ :
إنّ راشد الماجدَ ، ومحمّد عبده ، أهونُ خطراً وضَرراً من سفر الحواليّ . !
باللهِ عليكَ أي عقول في تلكَ الرؤوس الخاوية ! ، وأي سلف أولئك السلفُ الذين ينتمونَ إليهم ! ،
وهل كانَ السلفُ يُعاملونَ أهلَ العلمِ والهداية ، كماً يُعاملهَم هؤلاءِ الموارقُ ،.

تناقض الجامية في مسألة طاعة ولاة الأمور

من القضايا التي اتكأ عليها الجاميّونَ كثيراً ، قضيّةُ طاعة ولاة الأمر ، حتّى أفردوا وليّ الأمر بطاعة لم يُسبقوا إليها ، فحرّموا الإنكارَ عليه ، ودعوا إلى التزام أمره حتى لو في معصيّة الله ، كما ظهرَ ذلكَ جليّاً في فتوى التأمين ،
ومع ذلكَ فهم أبعدُ النّاسَ عن طاعة ولاة الأمر ، فكثيرٌ منهم من بلادَ اليمن والجزائر وغيرها ، ولا يحملونَ إقامات أو أوراقاً ثبوتيّةً ، ومع ذلكَ يُقيمونَ في البلاد ، ويجلسونَ فيها ، وهذا أعظمُ معاندة لوليّ الأمر ، وخروج على أمره .
ومنهم طائفةٌ تعملُ في الوظائف الحكوميّة ، وفي نفس الوقت تمتلكُ محالاً تجاريّةً ، وهذا ممّا يحرّمهُ النظامُ ، بل ويُعاقبُ عليهِ ، وأمّا هم فيفعلونهُ ولا حرجَ عليهم فيهِ .

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر
تاريخ النشر : 25/10/2010
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com